العـــالـــم: مـن قـريـة إلى ـ شـاشـة!

مشتاق عباس معن

جبار المشهداني

لم اعد مؤمنا بالمقولة الشائعة التي تردد (العالم أصبح عبارة عن قرية صغيرة) فهذه العبارة " الجميلة في صياغتها " مجرد خدعة لا تستند الى اي حقيقة " ان كانت ملموسة او بصرية" برغم من أنها تعكس عيانا بيانا الوجود الطاغي على حياتنا اليومية لعوامل وتقنيات الانترنيت والاتصالات الحديثة وتقريب الحدود بين الدول والتجمعات ، لكنني أرى أن هذا العالم (الذي يبدو كبيرا من الخارج) لم يعد كذلك في ظل وجود الثورة العلمية والتطورات التكنولوجية المتلاحقة التي قلصت المنظورات و المسافات !.وأزالت الحواجز (حد التذويب والامحاء) وأصبح بإمكاني مثلا - أنا الساكن بأطراف مدينة كربلاء - آن اتلفن وأشاهد صديقي الذي يسكن في أقصى الأرض بالصوت والصورة وأزوده وأتزود منه بالأخبار والمعلومات والمستجدات بلا تكلفة او رقابة او خوف !.العالم الآن (كما يراه ويلمسه الملايين من البشر) أصبح بيدي أنا مثلا فلا أكاد أفارقه فهو أمامي وتحت تصرفي بالبيت بل جنب سرير المرض.. اخترقه واستحصل وانهل منه ما أشاء ولذلك تحول العالم بالواقع المنظور من قرية الى .. شاشة ، ودحرت المقولة القديمة (والمستهلكة) التي كانت تنظر الى العالم وكأنه غدا قرية بل المفارقة الصادمة ان الواقع العلمي والانترنيتي الجديد يخبرنا بأشكال مختلفة انه يهيمن اليوم على مفردات وتفاصيل البيت والمصائر والحاجات الفردية والرغبات البشرية (حتى غير المشروعة منها) وبذلك أصبح من المحال ان ننظر الى العالم وكأنه تصاغر الى قرية صغيرة فهذه جنحة بصرية وشعورية وعملية والأصح أن عالمنا قد تجمع في (شاشة) وأي قناعة أخرى ستدخلنا في دائرة الإيهام وهي قطعا ستنتسب الى مخلفات النظام الدولي القديم !.كنت في سطوري أعلاه ممهدا لحديث اليوم ومؤداه كيف تجمع عالمنا الكبير في " شاشة " محدودة سنجد فيها(بفعل تطور العلوم والتكنولوجيا) ما نريده من أشياء ومعارف وقيم وأحوال وملاحقات كنا نلهث حولها " ومن المستحيل ان ننال اغلبها " فإذا بها اليوم طوع أمرنا وتتجسد أمامنا بصريا باللحظة اثر " ضغطة زر واحدة " فما أقربها منا ؟!.. وهنا وصلت إلى السؤال الذي أود طرحه منذ البداية : كيف تعامل المبدعون العراقيون مع هذه التطورات العلمية والمعرفية التي جعلت العالم مجرد شاشة تتساكن في بيوتنا بل هي قرب سرير أمراضنا وتحت إمرتنا؟! والصورة النظيرة لسؤال هام كهذا هي : كيف انعكس إبداعنا (في حقول الأدب والفن والمسرح والنقد)على الراهن الزمني وهل استجاب لما حوله من تطورات وتحديات أم تراه وقف متفرجا ومنتظرا فحسب ؟ من الصعوبة - ان لم يكن مستحيلا - ان نرسم هنا خطا بيانيا نوضح فيه مدى استجابة المبدع العراقي لتحديات بل هيمنة وسائل التطور والمستجدات التكنولوجية المستعرة حوله وتأثيرها عليه إنسانا ومشروعا منتجا وأنّى لنا ذلك وسط الخصوصية والفردية وغيرها من حقوق الإنسان التي تحيط به بل وستدفعنا إلى حقول الألغام ؟!.في المسرح العراقي هناك تجربة لافتة عملت على الإفادة او امتصاص لنموذج حداثي مما سمعنا به ، فقد حدثني قبل سنوات الكاتب والمخرج الفنان جبار المشهداني عن عمل مسرحي مشترك بين العراق وأمريكا يتم الإعداد له في تلك الفترة ويتوزع فريق العمل الى شطرين بين بغداد وواشنطن ويقوم هو (أي جبار المشهداني) بعملية الإخراج من خلال شاشة الانترنيت ويتم التلقين من هنا وتتلقف" جماعة واشنطن" الأوامر والحركة وباقي التدريبات حتى يتم العرض هناك ،وقد كلمت فريق العمل الأمريكي (وكل عناصره من العراق) أكثر من مرة ثم صمتت الأصوات واختفى العمل فجأة!وفي القصة قرأنا نماذج من (القصة التفاعلية) والتقينا بصاحبها صالح جبار محمد بل كتبنا عنها حديثا بحلقتين متصلتين وتساءلنا وقتها هل نحن أمام تجربة تفاعلية في القصة ؟ وللأسف فان النماذج التي قراناها قد أوصلتنا الى نتيجة سالبة : هذه تجربة ورقية برغم من كونها قد كتبت بروى جماعية! وسنضطر للخروج بحصيلة نكوصية تجهر بعلانية ان التجربة العراقية قد حافظت على نمطيتها ولم تخرج عن معاطف التقليد ان كانت في الرواية أم في النقد والدراسة واللحن والموسيقى.. ولم يبق هناك إلا الشعر كي يخترق عالم التابوات والنمط هذا ويحقق الإضافة المرجوة في عالم حداثي ينتظر تحقيق الأثر النوعي من خلال التفرد في عالم عابر للهويات !.في شهر تموز من عام ٢٠٠٧ فاجأ الشاعر العراقي مشتاق عباس معن العالم كله بإصداره لمجموعته الشعرية ((تباريح رقمية لسيرة بعضها ازرق)) التي نشرها أولا في جهاز الحاسوب" فهذه القصيدة بأشكالها وألوانها وهندستها وأنغامها لا يمكن قراءتها وتملي معانيها من خلال الورق" قبل يعممها في مواقع النت وقد عدت هذه المجموعة رائدة عربيا من وقتها لانها حققت الجديد وكانت اصدق تمثيلا لاستجابة الحساسية العربية لأحدث أشكال التعبير الأدبي في عصر المعلوماتية كما ان الدارسين العرب ونقاد العراق قد زينوا شاعرنا بوشاح الريادة منذ ان اخرج رائعته ، والغريب ان شاعرنا الرائد مشتاق عباس كان في مجموعته تلك مبدعا (صادما) للذائقة النمطية (وقد أطلقت عليها توصيفا آخر هو الكهفية) التي ترتضي دوما بالسكون والثبات والتشبث بما كان فأصبح من المفهوم ان تتبلد إحساساتها وتتخبط أقوالها أمام إبداع تأسيسي دهم تلكم الذائقات بما يشبه الأنوار الكاشفة والفاضحة في ذات الوقت، ومن جانب آخر مثل هذا النص الشعري / التفاعلي(والذي صنف على انه من منجزات الحداثة الثالثة) فرحة كبرى للمتنورين العرب وللمتطلعين لانجاز إبداعي عربي يتداخل ويتنافس مع إبداعات العصر ويحقق هوية شعرية متميزة بينها خصوصا وان مبدعها قد نشرها على مواقع الانترنيت حصرا وجعلها متيسرة لكل من يمتلك " شاشة نت " ،ولذلك بقيت هذه المجموعة فريدة من نوعها ولم يأت احد من الشعراء العرب او العراقيين بنص شعري واحد (لا ٣٣ نصا كما في المجموعة) يكون نظيرا او شبيها بما جاء به شاعرنا العراقي ،، ويبدو إننا سنحتاج أكثر من ثمان سنوات للوصول الى قصيدة تعلي الحداثة ونتفاخر بها!.

ناظم السعود

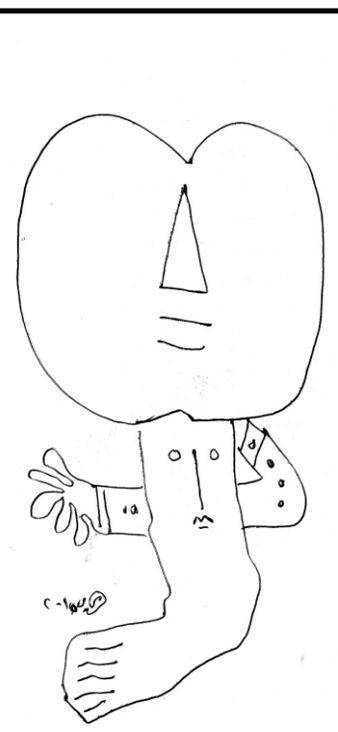

أدع الفأس تتفعل

برابرة بانتظار البرابرة
آه ياصديقي نقّار الخشب
انا وانت
لسنا بانتظار أحد
*
طالما ليس بإمكاني
اضافة حروف جديدة لهذه اللغة
ساداعب خصلات شعرك
وأراقب أصابعي
*
تحني الريح أوراق العشب الطويلة
فيشمخ رأس الثعلب
مختبئا بوضوح
*
محطة بلا قطار
او قطار بلا محطة
تظل المدينة ثابتة
دون ان تتوقف
*
بوذا في حديقتي
يسمع باذنه اليمنى شخيري
ومنخره الايسر يبتسم
*
يهاجمني غراب
دفاعا عن عشه
وانا عن حقي في الجلوس
تحت الشجرة
*
صف الأشجار البعيدة
يذكرني بدرس الرسم
ارسم حولها نهرا
وأدَع الفأس تنفعل

سلام دواي

نافذة

الغصن الذهبي مرجع لثقافات الشعوب البدائية

أضافت "دار كلمة- أبو ظبي" للمكتبة العربية، طبعة جديدة من كتاب "الغصن الذهبي" لمؤلفه جيمس فريزر، ترجمة محمّد زياد كبّة. الكتاب يرصد عدداً من المفاهيم الراسخة في ثقافات كثير من الشعوب البدائية ويقارن فيما بينها ولاسيما تلك التي تتعلق بالسحر والشعوذة، فهو يبحث في مفهوم السحر عند تلك الشعوب وعلاقته بكثير من المعتقدات الخرافية التي تؤمن بها، ويبين الكتاب دور الساحر في المجتمعات البدائية وادعائه القدرة على السيطرة على قوى الطبيعة مثل المطر والشمس والمحاصيل الزراعية، فالناس الذين يقفون عاجزين أمام قوى الطبيعة الخارقة يبحثون عن قوة أخرى تستطيع التحكم بها، لذلك يضعون ثقتهم في الساحر الذي يدعي امتلاك مثل هذه القوة. وفي بعض المجتمعات ربما يرتقي الساحر السلم الاجتماعي في قبيلته حتى يصبح الملك، وبذلك تجتمع لديه السلطة الدينية والسلطة الاجتماعية في آن معاً. ويوضح الكتاب أن مفهوم الآلهة عند الشعوب البدائية يختلف عنه في الديانات السماوية، فالآلهة عند تلك الشعوب من البشر، فهي تولد وتكبر وتعشق وتتزوج ويخاصم بعضها بعضاً، وتقاتل وتموت، لكنها تتمتع بقوى خارقة للطبيعة غير متاحة للبشر العاديين... ويبيّن الكتاب أن كثيراً من الشعوب البدائية تؤمن بتجسد الآلهة في الشجر، لذلك تراهم يقدسون أشجاراً بعينها ويتباركون بها اعتقاداً منهم أن روح الإله موجودة في هذه الشجرة أو تلك، بل يمارس كثير من الشعوب البدائية عبادة الشجر، ثم ينتقل الكاتب إلى شرح مفهوم نقل الآثام والشرور من شخص إلى آخر، مبيناً أن هذه العادة موجودة عند كثير من الشعوب البدائية التي قد تختار شخصاً بعينه ليكون قرباناً يقبل أن يحمل أوزار القبيلة فيقتلونه أو ينفونه ظناً منهم أنه يخلصهم منها... وفي الكتاب أيضا وصف لأعياد النار التي يحتفل بها الكثيرون في كل أنحاء العالم ولاسيما في أوروبا. ويقول الكاتب إن هذه الأعياد تقليد لحركة الشمس الظاهرية في السماء، كما يبين المعتقدات التي تصحب إشعال النيران في تلك الاحتفالات، ولاسيما التي تتعلق بالزواج والذرية ووفرة المحاصيل، ويقول: إن لهذه العادة القديمة علاقة بعادة إحراق الساحرات التي كانت شائعة في قديم الزمان.. ويشير الكاتب إلى أن لدى بعض الشعوب البدائية اعتقاداً أن الروح قد تخرج من الجسد إلى أماكن أخرى ثم تعود إليه ثانية. ويروي العديد من القصص التي يحتفظ بها بعض السحرة والملوك بأرواحهم في أماكن بعيدة لا يطولها أحد تجنباً للموت، لكن في كل مرة يتمكّن أحد الأبطال من اكتشاف موقع تلك الروح وقتلها وبذلك يقتل الساحر معها... "الغصن الذهبي" أحد أهمّ الكتب في التاريخ، ليس فقط لما حواه من الأساطير والشّعائر التّي اهتم المؤلف بها عبر تطور التاريخ البشري بمراحله الثلاث، من السحر إلى العلم، ولكن بسبب أثره الكبير في تطوّر علم الأنثروبولوجيا وعلم النّفس، من دون أن نغفل مأثرة الكتاب الكبرى وهي أدبيته وحسن عرض مواده، وقد حفر عميقاً في الشّعر والرّواية والنّقد الغربي، وفي الكثير من الرؤى الفكرية الفلسفية وتوجّهات البحث في الأنثروبولوجيا وما يتّصل بها من المباحث. فعمالقة الأدب تعاملوا مع هذا الكتاب واستفادوا منه من مثل وليام بتلر ييتس، و ت. س إليوت، وإزرا باوند، وجيمس جويس، ود. ه لورنس، وإرنست همنغواي، وغنيّ عن القول إن بعض الأعمال المتأثرة بكتابنا هي في قمّة المنتج الأدبي الغربي، ولم يؤثر "الغصن الذهبي" في الأدب الغربي فقط بل ساهم في أهمّ تحوّل عرفه الشعر العربي بعد أن ترجم الراحل جبرا إبراهيم جبرا الجزء المرتبط بأسطورة أدونيس منه عام ١٩٥٧، وكان لهذا الجزء عظيم الأثر إذ تأثر به السيّاب ومجايلوه وتسلّلت الأساطير من هذا الكتاب إلى ليل الشعر العربي عبر "عرضه الممتع للمعتقدات والعادات التي كان الناس قديماً يمارسونها في طقوس الخصب"، وهو ما يفسر، وفق جبرا "الكثير من المعتقدات والعادات الشائعة بين الناس حتى اليوم". ويزيد جبرا على هذا كله أن هذا الجزء من كتاب "الغصن الذهبي"، كان له، فضلاً عن خطورته الأنثروبولوجية الظاهرة، أثر عميق في الإبداع.. بما هيّأه للشعراء والكتاب من ثروة رمزية وأسطورية.... الكتاب من ضفة أخرى مرجع مهم، رسم صورة للتاريخ الإنساني بطريقة أدبية جعله يحظى بشهرة شعبيّة، وظل الكتاب بعد هذا كله مادة حية تقرأ وتفعل فينا وفي ثقافتنا وخاصة الشعرية فعلا مؤسّساً، ويبقى لمؤلّف الكتاب فضل تبسيط علم الأنثروبولوجيا وجعله شعبياً ومقروءاً، وهذا الكتاب إضافة إلى كتابه الآخر المهم "الفولكلور في العهد القديم" المترجم بدوره إلى العربية، كتابان لا غنى عنهما لكلّ مكتبة حديثة، فهو "عمل أدبي وسجلّ فريد، يتمتّع بأسلوب قصصي ممتاز يسرّ له القارئ" كما يقول روبرت تمبل.

فنارات

في رحاب اللغة العربية

كلمات فصيحة في العامية: القرف

القِرْف: لِحاء الشجر وأحدثه قِرْفةً. والقِرْفة: القشرة. وكل قشر قرف وقرفت الشجرة قشرت لحاءها.
ومن قِرْف الرُّمَّان وقِرْف الخبز الذي يُقْشر ويبقى في التَّنُّور. يقال أيضاً: صبغ ثوبه بقرْفِ السِّدْر أي بقشره. والقِرْفة اسم للحاء شجر طيب الريح يجفّف ويفحّى به الطعام، ويتخذ من بعد أن يغلى بالماء شراب لذيذ الطعم يجلب من الهند وسيلان وما وراءهما من البلاد. ويعرف بالدارصيني ومعناه شجرة الصين، وفي القاموس: القِرْفة ضرب من الدارصيني وهو أحمر أملس.
والاقتراف: الاكتساب. اقترف أي اكتسب. واقترفَ ذنباً أي أتاه وفعَله أو داناه ولاصقَهُ. وفي التنزيل العزيز: وليَقْتَرفوا ما هُمْ مُقْتَرفون، وقرَفه بالشيء: اتّهمَه.
قال الشاعر:
إذا ما لي سدون سقوا فشنو
فكم يبقى على القُرَفِ الإخارُ
والقرَف عند العامة اشمئزاز النفس من أمر واستقذارها إياه. والقرَف في اللغة مُداناة المرض. وفي الحديث وقد سُئِل عن أرض وبيئة: "دَعْها فإن القرَف التَّلَف" وفسَّره ابن الأثير بقوله: القرَف ملابَسة الداء ومداناة المرض. والتلف الهلاك.
وقالت العرب: قرِف فلان إذاً أصابَه القرَف أي مداناة المرض، وكأن اشمئزاز النفس من الأمر وبُنُوَّها عنه يشبه مداناة المرض حيث أثرها في النفس من غثيان ونحوه.
وكأن قول العامي: قرفتُ من هذا الأمر أي دنا لي منه مرض ويكون من المجاز.
وجاء في اللغة: المُقرِف هو النذل الخسيس وهو مما تنبو عنه النفس كالشيء المُقرِف عند العامة. ووجه مُقرِف: غير حسن.
قال ذو الرّمّة:
تُريكَ سُنَّة وَجْهٍ غيرَ مُقْرِفةٍ
مَلْساء ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

أ.د. منى الياس

فضاءات

«الإبداع» عالم الخيال الذي ينبغي أن ننظر إليه بجديّة

من لغة علم النّفس كما أنّها تعطي كلّ شيء بدءاً من الأجوبة عن نوع معين من أنواع الاختبارات السيكولوجية وحتى إقامة المرء لعلاقة جيدة مع زوجته، أيّ بكلمة أخرى، تنطبق كلمة الإبداع على جميع الصّفات التي يستحسنها علماء النّفس، وهي كسائر الفضائل الكثيرة الأخرى -العدالة- مثلاً يصعب عدم قبولها كما أنّ من الصّعب أن نقول ما تعني تماماً".
هنا وقفة مكثفة مع أبرز أفكار المشاركين في فصول هذا الكتاب: -"ف.س.يارتليت" يتوصل في بحثه إلى أن خط السّير المتعرج لأيّ علم من فروع العلوم التجريبية يتكون بصورة أساسية من عدد ضئيل نسبياً من الأبحاث المبدعة التي قد تكون شديدة التباعد فيما بينها، يتبعها كقاعدة، عدد كبير جداً من الأبحاث الروتينية، على أنّ أهم سمة من سمات الفكر التجريبي المبدع هي اكتشاف التراكب والتوافق حيث لم يكن أحد من قبل يميز إلّا التباين والاختلاف. -"ي.و.سينوت" يعيد القدرة الإبداعية إلى الحياة فهي "ذاتها المسؤولة عن الإبداع وهي السيرورة الخلاقة، وذلك بفضل خاصتها المنظمة، المشكلة للأنماط، والباحثة المنقبة، وهي الخاصة الأكثر تميزاً من خواصها جميعاً، ويضيف معتمداً على "جيرارد "أنّه" بفضل آليات متنوعة كثيرة، تعمل، إذاً أعداد كبيرة من الخلايا العصبية -والدماغ كوحدة كبرى- بصورة مشتركة معاً، إذ لا تجمع خليتان أو بليون خلية مساهماتها المستقلة فحسب، بل تشكّل كلّ منها جزءاً من نمط نشاط ديناميكي متغير يقوم به الكل، وهذه هي الأوركسترا التي تعزف أفكار الحقيقة والجمال والتي تبدع الخيال.. ويا له من أساس جميل لصنع كليات جديدة أو إعادة تركيب للمادة الحسيّة بأشكال جديدة!. ثمّ يقرر أن هذا هو الميدان الذي يعمل في الخيال المبدع سواءً كان في العقل الباطن أو غير الباطن. -"آ.ج.كروبلي" يربط بين سيكولوجية المبدع وسيكولوجية الإدراك ليصل إلى أنّ الأفراد ذوي القدرة الإبداعية يتميزون في مجال الإدراك بامتلاكهم التصنيفات الواسعة والشّاملة، ورغبتهم في المجازفة والمحاولة، إضافة إلى أنّهم يتمتعون بنسبة عالية من المعرفة. -"فرويد" يرى أنّ الكاتب المبدع يفعل ما يفعله الطفل وهو يلعب، إنه يبدع عالماً من الخيال ينظر إليه بمنتهى الجدية. -"س.ر.روجر" يربط بين المبدع ومحيطه الاجتماعي فتعريف العملية الإبداعيّة هو أنّها "الظهور الفعلي لإنتاج جديد نسبياً، ناشئ عن تفرّد الفرد من جهة، والمواد أو الأحداث أو النّاس أو ظروف حياة هذا الفرد من جهة ثانية". لكن الباعث الأساس للفعل الإبداعي هو النزعة الإنسانية أيّ نزعة الإنسان لأن يحقق ذاته وأنّ يخرج إمكاناته للعيان. -"ستيفن سبندر" يحيل الإبداع إلى الذاكرة فإذا كان "فن التّركيز بطريقة خاصة هو النظام الضّروري للشّعر كي يكشف عن ذاته، فإن الذّاكرة التي تمارس بطريقة خاصة هي الموهبة الطبيعية للشاعر العبقري، فالشّاعر، قبل كلّ شيء هو الشخص الذي لا ينسى أبداً انطباعات حسيّة كان قد عاشها في يوم من الأيام، وهو الذي يمكن أنّ يعيد إحياءها المرّة تلو الأخرى بكلّ رونقها الأصلي وبهائها". -"هـ.يو انكاريه" يرى أنّ الإبداع الرّياضي ليس صنع تركيبات جديدة ذات وحدات رياضية معروفة من قبل، إذ يمكن لأيّ امرئ أنّ يفعل ذلك، علماً بأنّ أعداد التركيبات المصنوعة بهذه الطّريقة قد تكون من غير حصر إنّما معظمها من دون أهمية على الإطلاق، الإبداع يكمن تماماً في صنع تركيبات غير مفيدة أو في صنع تركيبات مفيدة إنّما نسبتها ضئيلة، الإبداع هو حسّ التمييز، هو الاختيار.. -"ب.آ.رازيك" يخصص بحثه ومقترحاته للقياس السيكولوجي للإبداع فـ"حين" يمعن المرء النظر بالتطورات التي حدثت مؤخراً في ميدان دراسة الإبداع، يمكنه أن يرى الأرض تمهد تاريخياً للتقدم في مجال تطوير البرامج التعليمية الخاصة بالإبداع. فحتى هذا الحين، كان ينبغي أنّ ينصبّ الجهد الرّئيس على إعادة فهم طبيعة الإبداع ورعايته وقياسه إلّا أنّ عوائق مفاهيمه الأساسية كانت تقف في الطريق، أحد هذه العوائق هو مفهوم المتوارث ثقافياً عن الإبداع وهو أنّه تلك الخاصة الّتي يتميز بها العبقري والّتي تقف، وبصورة غامضة، وراء قدرته الاستثنائية الّتي لا يستطيع الإنسان العادي، بالتحديد، أنّ يدركها أو يمتلكها، فمن المفترض أنّ العبقرية تكون حيث يجدها المرء، والأمر ذاته ينطبق على الإبداع وتالياً لا يمكن للتعليم أن يؤثر في الإبداع في شيء" ويحيل اتهامه إلى طرق التّعليم حيث إنّ التعليم اليوم ليس بالتعليم الفعّال في مجال تطوير القدرة الإبداعية وتنميتها بين جماهير الطلاب. ولا بدّ من الإشارة إلى أن الكتاب مادة قيّمة تضيف لنا رؤى جديدة وقابلة للمتابعة والبحث والتّوسع في مناهجها.

نصيرة عيسى